عن الكتب .. والكتّاب[1]

إذا عرف السبب!

صدر مؤخراً كتيّب صغير للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، يتضمن محاضرة سبق أن ألقاها في بيروت. والكتيّب يحمل عنواناً لا يقلّ في حجمه كثيراً عن حجم المحاضرة: «الخليج العربي مكشوف: تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية» ومضمون المحاضرة لا يخلو من غرابة. قامت الهند وباكستان بتفجيرات نووية، إذن فالخليج في خطر. لماذا؟! ما العلاقة بين التفجيرات النووية الهندية والباكستانية وأمن الخليج؟ المعنى في بطن الأستاذ الكبير!

ولكن هذا الخطر المزعوم لا يعنيني الآن. تعنيني معلومة عجيبة أوردها على ذمة الأستاذ هيكل:

إن العالم العربي يشهد كل يوم بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ اجتماع، فيها «المؤتمر»، وفيها «الندوة»، وفيها «حلقة

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٨م).

obeikandi.com

النقاش»، وفيها «دائرة الحوار»، وفيها «ورشة العمل»، وفيها جلسة «استثارة العقول».. والتقدير أن تكلفة كل مناسبة من هذه المناسبات حوالي ثلاثة آلاف دولار.. المتوسط يصل بإجماع الحساب إلى مليون دولار يومياً يدفعها العالم العربي لكي يتكلم مع نفسه ..

هل رأيتم، قط، عاقلاً يتحدّث مع نفسه؟! وهل أدركتم، الآن، سرّ الجنون في عالمنا العربي السعيد؟!

أستاذ هيكل!

شكرا على هذه المعلومة المفيدة!

وسامحك الله على استنتاجاتك النووية .. غير المفيدة!

كتاب لطيف

كان الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي - رحمه الله- علماً من أعلام هذا القرن في المملكة العربية السعودية. كان شخصية غنيّة، متنوّعة الجوانب. كان قاضياً من القضاة اللامعين. وكان أديباً حافظاً راويةً.

obeikandl.com

وكان يتمتع بحسّ دعابة نادر. لم يسعدني الحظ بلقاء الشيخ البواردي إلا مرة واحدة. وكان اللقاء اليتيم لقاءً تاريخياً. أفاض الشيخ على الحاضرين من أنسه وظرفه وحسن معشره ما جعل الساعات تجري كالدقائق، أو كالثواني. كان اللقاء قبل عقدين من الزمان. والآن، تعود إليَّ صورة الشيخ البواردي من ضباب الأيام عبر كتاب لطيف أصدره الشاب الأديب النشط أحمد بن زيد الدعجاني.

يتضمّن الكتاب نبذة وافية عن حياة الشيخ الجليل وأعماله وآثاره ومداعباته. وسوف أكتفي، في هذه الاستراحة، بالإشارة إلى بعض هذه المداعبات.

كانت معظم وخزات الشيخ مُوجّهة إلى الثقلاء الأغبياء الذين لم يكونوا يعرفون الفرق بين المديح والهجاء. من هؤلاء شخص يدّعي معرفة الطب. قال الشيخ لهذا الطبيب المزعوم:

ألا أيها الدكتور! ويحك لو تدري

openkanal.com

بأنّا نودُّ، اليوم، طبخك في القدرِ
لتذهب مكروبات جسمك كلّها
وتمسي قرير العين.. منشرح الصدرِ

وسُرّ الغبي المتطفل بهذا «الدواء» الذي سيشفيه من مكروباته كلها.

وقال الشيخ الظريف مُرَحِّباً بضيفٍ ثقيلٍ جداً:

يا مرحباً بك .. عدّ ما ينفَس الميت
وعداد وسط الليل ما تطلع الشَمس
وعداد ما سافر إلى مكة «كُميت»
وعداد ما يقلع عن الديك من ضِرس

لم يشرح أحد للضيف الثقيل أن الميت لا يتنفس، وأن جبل «كميت» لا يسافر للحج، وأن الديوك لا تزور أطباء الأسنان، وأن الشمس لا تطلع في منتصف الليل. لم يشرح أحد للضيف الثقيل شيئاً من هذا، فاستمتع أيما استمتاع بهذا الترحيب الحار.

obeikandl.com

رحم الله شيخنا البواردي رحمة واسعة. كان يعرف أن التديّن لا يتناقض مع الرقة والظرف، وأن التبسّط لا يُخلّ بسمت العالم الوقور.

عميريات

صديقنا عثمان العمير ودَّع رئاسة تحرير -الشرق الأوسط - الغرّاء، فأراح واستراح. لا بُدّ أن أقول للتاريخ: إن رئاسته كانت من نوع فريد: الاستشعار عن بعد. كان يحمل «الكومبيتر» في يد، «والموبايل» في يد، ويضرب في الآفاق. يقرّر، وهو في طوكيو، كيف ستظهر الصفحة الأولى. ويأمر، وهو في مراكش، بحذف صورة هذا السفير، أو ذاك (الأغلب هذا السفير!) ويوافق أو لا يوافق، وهو في طائرة تعبر المحيط الهادي، على نشر هذا الموضوع أو ذاك. وهكذا، وإلاّ فلا، تكون اللامركزية!

أثبت عثمان العمير، بالدليل الحيّ، أن كل نظرياتي في الإدارة خطأ في خطأ. أؤمن بالتقيد الدقيق

obeikandi.com

بالمواعيد، ولم يتقيد عثمان، عبر حياته كلّها، بموعد واحد.

أؤمن «بالدوام»، من الساعة الأولى إلى الأخيرة، ولم يداوم عثمان، في حياته كلها، يوماً كاملاً واحداً.

أؤمن بالعلاقات الإنسانية، ولا يؤمن عثمان إلا بالعلاقات مع الذين يستلطفهم (وعددهم محدود جداً). وعلامة الاستلطاف عند عثمان أن يتذكر اسم محدثه، إذا قال لك: «يا مولانا»!، فاعرف، يا مولانا، أن عثمان لا يتذكر اسمك، ولا يود أن يتذكره.

لا بأس! لا أعتقد أني أصلح صحفياً ناجحاً، (أو فاشلاً).

ولم يدَّعِ عثمان أنه يصلح بيروقراطياً ناجحاً (أو فاشلاً).

بعد هذا كله، وهذا كله حق، تبقى كلمة حق لا بد من قولها بعد أن فقد صاحبنا القدرة على حذف صورة هذا السفير أو ذاك... أو قصيدته. ترك عثمان حيث

obeikandl.com

حلّ من الصحافة بصمات لا تمحى. أستطيع القول. بلا مبالغة، أنه كان أول من أدخل عنصر الإثارة الحقيقية في الصحافة السعودية. كان أول من أغرى القارئ بقراءة ما لا يُقرأ، وبفهم ما لا يفهم. هذا الإنجاز يغفر له ما سببه لي من عذاب وأنا أبحث عنه، عبثاً، كل صباح في مكتبه. ويغفر له أنه لم يجئ إلى دعوة من دعواتي إلاّ متأخراً، (هذا إذا جاء!)

يا أبا عفان!

سنفتقدك عندما نقرأ، في الصباح، «خضراء الروابي».

أما في المساء، فأعاننا الله على وجودك معنا (هذا إذا جئت!)

راشديات

سئم عبدالرحمن الراشد وريث العهد البائد في «الشرق الأوسط» هذه القصة لكثرة ما أذكّره بها إلا أنني لا أعتقد أن أحداً غيره وغيري يعرفها. من حق

obeikandl.com

قراء الاستراحة أن يعرفوا أن عبدالرحمن الراشد بدأ مسيرته الصحفية بمقال لاذع في هجاء شخصنا المتواضع.

حدث هذا في منتصف السبعينيات الميلادية. كنت وزير الصناعة والكهرباء، وكان عبدالرحمن طالباً جامعياً في الولايات المتحدة يراسل - الجزيرة - الغرّاء.

عاد الطالب في زيارة إلى الرياض، وكانت أزمة الكهرباء في أوجها، والتيار ينقطع، كل يوم، بانتظام. انفعل الطالب الصحفي الشاب وصرخ: «قرّبا مربط الجزيرة مني»! كتب مقالاً عنيفاً يهاجم فيه «ذلك الرجل» الذي كان يتحدث عن المثاليات، وما أن تربّع على كرسي الوزارة حتى انغمس في الأنانيات. أخذ يمدّ الكهرباء للأغنياء، وينسى الفقراء. ركّز جهده على الأحياء الفاخرة ونسي الأحياء الشعبية.

لم يسمّ عبدالرحمن «ذلك الرجل» باسمه. اختار

بدلاً من ذلك أن يدعوه طرفة بن العبد. إلا أن «ذلك الرجل» أدرك بلا عناء المقصود. ارتكب طرفة بن العبد الكثير من الخطايا، ولكنه لم يكن المسؤول عن كهرباء الرياض!

كتبت لعبدالرحمن رسالة طويلة تتجاوز، إن لم تخني الذاكرة، عشر صفحات. ضلّت الرسالة الطريق وتأخرت حتى وصلت إليه، بعد جهد جهيد، حيث يدرس في بلاد العم سام. وجاءني الجواب. مَلَك الصحفي الناشئ من الشجاعة ما جعله يعتذر؛ لأنه عرف أن ما نشره عني بعيد كل البعد عن الدقة. ولا يزال الصحفي الناجح يملك الكثير من الشجاعة. ولِمَ لا؟ يتعلم الناس الحلاقة في رؤوس اليتامى وتعلّمها عبدالرحمن في رأس صاحب المعالي (يوم كان في رأس معاليه بعض الشعر!).

obeikandl.com

موبايلات

أقسم بالله العظيم أني لا أملك جهاز «موبايل»، ومن حلف لكم بالله، فصدقوه. أقول قولي هذا لمأموري السنترالات والمراجعين والأصحاب والمعجبين (لا توجد معجبات بطبيعة الحال!) الذين يصرّون على معرفة رقم «موبايلي». لا يوجد عندي «موبايل». وأمقت «الموبايل» من الأعماق. ولولا معزّة البنت والبنين وآخرين لأضفت: وأمقت كل من يقتني «موبايل».

يُمَثِّل «الموبايل»، في رأيي المتواضع، بداية ثورة اجتماعية مرذولة.. أي والله مرذولة!

وإليكم بعض الدلائل:

* أصبح «الموبايل» دليل وجاهة، يملكه مَنْ يملك نفقاته ومَنْ لا يملكها، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يعكّر على المصلّين الخاشعين في المساجد طمأنينة صلواتهم، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يشجع الناس على الحديث أثناء المشي والجري والطعام وقيادة السيارة، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح بوسع «الموبايل» أن يقتحم خصوصيات المرء حيثما كان، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* كاد «الموبايل» أن يصبح بديلاً للتزاور والتآلف واللقاء الشخصي، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يثير العداوة والبغضاء عندما يتكلم متكلم في مكان خاص أو عام فيقاطعه رنين «الموبايل»، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» وسيلة تنقل عبرها أمراض جديدة خطيرة إلى الدماغ، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

ملحوظة هامة: أستثني من كل ما سبق جميع الذين تتطلب مِهَنُهم استعمال «الموبايل» مثل الأطباء والطبيبات والمسعفين والمسعفات والممرضين والممرّضات.. وأخريات!

obeikandl.com

كتاب من كتب الذعر

طلعت علينا الباحثة الدكتورة فوزية الدريع بمؤلف جديد من مؤلفاتها النفسية/ الجنسية، اسمه «الحب في الأربعين».

بدأت أقرأ فصلاً من فصوله فانتابتني «نفّاضة»، مصحوبة بعرق غزير، واضطراب في دقات القلب، وشيء من الصداع.

اقرأوا معي:

«رجل الأربعين يقف أمام المرآة كما تقف المرأة. وحين يخلو مع نفسه في الحجرة أو الحمّام يتحدّث هو الآخر بأسى مع المرآة، ويلتصق بها (المرآة لا المرأة) ليرى الخطوط التي بدت تحت عينيه، ويقرص (كذا) شحم بطنه بين أصبعيه ليدرك أنه بدأ يترهل، وهو الآخر تصيبه كآبة فقدان الشباب. إن أبسط مثال (أعاننا الله على أصعب مثال!) يمكن أن نضربه على مدى تأثير الشكل على نفسية الرجل هو الصلع». أ. هـ

obeikandi.com

نعوذ بالله من غضب الله! خطوط والتصاق بالمرآة وشحم وترهل وصلع وكآبة. هل انتهى مسلسل الرعب؟!

كلا! هناك «الشيب والتجاعيد» و«انعدام الاشتهاء» و«انحدار الصحة».. وأمور أخرى!

من عوفي فليحمد الله!

وأنا أحمد الله كثيراً:

* فأنا لم ألتصق بمرآة في حياتي.

* ولم أنتحب في حمام قط.

* ولم أرَ خطوطاً تحت عيني (بسبب قصر النظر ربما).

* ولم أحاول قرص الشحم بين أصبعين (أحتاج إلى مئة أصبع للقيام بمحاولة كهذه).

* ورحلتي مع الصلع بدأت من العشرينات (من العمر .. لا القرن).

* ولا أحس بأي انعدام أو انحدار.

obeikandl.com

يا فوزية!

غفر الله لكِ هذه الحملة الصاعقة على رجال الأربعين...

.... وترقبوا القذيفة المقبلة «الحب في الستين»!

obeikandl.com